Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

التفكيك ، أرض بلا حدود وعالم بلا سقف

د. خالد وهاب

جامعة محمد بوضياف – المسيلة

الملخص :

شكّل النزاع مع التصور اللساني الحديث للغة منطلقا رئيسيا لاستراتيجية التفكيك ، التي أرسى دعائمها المفكر الفرنسي (جاك دريدا jaques derrida) حيث انصبت جهوده على تقويض وهدم مسلمات ومنطلقات المناهج النقدية التي تستند إلى العقل الكلي (اللوغوس Logos)، فالمتتبع لمشروعه الفلسفي والنقدي يجده سلسلة من التقويضات بحيث بدأه مشككا وانتهى به مفككا (تدمير ونسف المرجع الإحالي القديم والمتمثل في العقل ، خلخلة الفكر اللساني الحديث ونقد أفكاره بداية من تدمير العلامة اللغوية وصولا إلى إدخال القارئ في لعبة المداليل المراوغة والهاربة دوما ...)

تحاول هذه الورقة البحثية توصيف هذا الفكر المابعد حداثي من خلال التركيز على قضايا جوهرية :

1/ التعرض لماهية التفكيك وعلاقته بكل من اللغة والواقع .

2/ البحث في الجذور الفلسفية والمعرفية لاستراتيجية التفكيك .

Résumé:

Le différend avec le concept linguistique moderne de la langue a constitué le point de départ majeur de la stratégie du déconstructionnisme dont les bases ont été jetées par le penseur français **Jacques Derrida** en consacrant ses efforts à détruire et à démanteler les axiomes et les fondements de toutes les philosophies et les méthodes de critique s'appuyant sur la raison (le logos) au point que tout poursuivant de son projet philosophique et critique de trouve qu'il était une série de destructions qui les a débutées en tant que sceptique pour devenir déconstruviste (détruire et démanteler l'ancienne référence représentée par la raison , secouer la pensée linguistique moderne, critiquer ses pensées à partir de la destruction du signe linguistique jusqu'à l'implication du lecteur dans le jeu des significations , toujours équivoques et évasives .....)

Motsclés : Déconstructionnisme, L'ancienne référence , Destruction du signe linguistique.

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

3/ تحليل ومناقشة أهم المسلمات اللسانية التي رفضها التفكيكيون.

الكلمات المفتاحية : التفكيكية ، المرجع الاحالي ، تدمير العلامة اللسانية.

تمهيد :

عُرفت التفكيكية على أنّها حركة فكرية في "الآداب والفنون " ، جاءت نتيجة الجهود النقدية التي قام بها (جاك ديريدا jaques derrida) الذي ناد بتفكيك أو تقويض اللغة وهدم قوانينها ، وعلى الرغم من الصد الذي عرفته هذه الحركة من طرف بعض المناهج اللغوية البنيوية ، إلا أنها وجدت لها مكانا في حقول معرفية أخرى كالهندسة مثلا التي استفادت من أفكارها في الجانب المعماري معتبرة هذه الأفكار تنطوي على قوة شحذ هائلة للعقل والفكر ، وهو ما يحقق للمشاهد لذة ومتعة عظيمة في تحقيق نفسه كذات مفكرة ومبدعة ، فما أحدثته عمارة التفكيك جاء خلافا لعمارة الحداثة في طريقة تصميم الفراغ المعماري."([1]) وعلى الرغم من تغلل وامتداد هذا الفكر في الكثير من مناحي حياة الإنسان المعاصرة ، إلا أننا سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية تتبعه في أكثر هذه المناحي أهمية وخطورة ؛ وهي اللغة بما أنها منتجة للأفكار ، وحقيقة الأفكار ما هي إلا انعكاس للوجود....

ولكن قبل التوغل في أرض التفكيك التي بلا حدود ، وعالمه المكشوف الذي بلا سقف دعونا بداية نطرح التساؤلات التالية : ما هو التفكيك ؟ ما هي مدخلات هذا التفكير الذي يزعم بأنه يقدم فلسفة جديدة للغة ، وما هي مخرجاته ؟

هل استطاع فعلا أن يحرّر العقل الإنساني من سجن اللغة ، أم أن مشروعه لم يقدم سوى وعودا كاذبة مضللة ؟

1-ماهية التفكيك عند ديريدا :

ظهرت التفكيكية عام 1960 على يد الأب الروحي لها (جاك ديريدا) الذي ولد في مدينة الجزائر(حي الأبيار) عام 1930 ، وهو ينتمي لعائلة يهودية متوسطة . رحل إلى فرنسا في مرحلة الطفولة الأولى ولم يعاود الرجوع إلى الجزائر إلا مرة واحدة عام 1971 ، وقد بقيت انتمائه ملتبسة وغير محددة المعالم في كتابته ؛ فهو جزائري المولد ، يهودي الأصل ، فرنسي اللغة .

يذكر (ديريدا) أنه أراد في البداية أن يكتب رسالة الدكتوراه في الفلسفة ، لكنه قال بأنّ المزاج الأكاديمي الموجود لم يكن يسمح بذلك التبعثر وذلك التفتيت الذي أراده ، لذا ترك هذا الموضوع واختار موضوعا آخر.

من مؤلفاته :

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

- في علم الكتابة . De la grammatologie

- الكتابة والاختلاف . L écriture et la différence1967

- هوامش فلسفية . Marges 1972.

-أحادية الآخر اللغوية 1988 " Le monolinguisme de l'autre"([2])

قام (ديريدا) في كتابه أحادية الآخر اللغوية Le monolinguisme de l'autre بمحاولة إعطاء تعريف أو تحديد للتفكيك فقال : " إذا ما كان لي أن أتجشّم بعض المخاطر وليحفظني الإله منها فإن هنالك تعريف واحد للتفكيك مقتضب يتميّز بالإيجاز ، اقتصادي كأنّه أمر من الأوامر ودون تحذلق هو: إنّه أكثر من لغة Plus dune langue "([3])

وبهذا تقترب وتتقاطع لغة (جاك ديريدا) مع لغة التصوف التي تتصف بشعائرية وطقوس مميزة بحيث تبدي " لغة المتصوف نفورها الشديد من الصرامة والأنساق ، وتُعلي من قيمة الشرود والحط من قدر العقل على أساس أنه قيد وتكلّف بطريقة أو أخرى."([4]) لذا فإنّ (ديريدا) يدعونا إلى ضرورة "الإنصات إلى ما يجري داخل أي حدث لغوي بالمعنى الفضفاض لكلمة إنصات . ينبغي أن نتعلّم كيف نرهف السمع لكل ما يجري ، حتى وإن كنا غير معنيين بهذا المقال أو ذاك ، ذلك أنّ اللغة تقول دائما أكثر مما تدّعي قوله."([5])

لذا فمن الأهمية بمكان أن نتعلّم كيف ننصت إلى كل ما يقال وذلك للوصول إلى "ما لم يقله النص من خلال ما قاله ؛ إنه بحث في المضمر ، والمسكوت عنه ، واللامفكر فيه ، والمستحيل التفكير فيه."([6])

وبما أن التفكيك (أكثر من لغة) ، " فالنص هو أكثر من نص ؛ أي إنه توالد أكثر من صوت وتداول أكثر من ذات داخل هذا النسيج المكتوب ، فيتردّد الشبح في النص ويتكرّر في جملة لا نهائية من الازدواجات كنسخ لا أصلية تمنع من خلود واستمرار الأصل والأصلي."([7])

إنّ عملية الاستنساخ في النصوص هو تمثيلية لا محدودة ، فالكتابة متعددة الأداء كثيرة الأصداء تتشابك في أغوار النصوص نصوص أخرى ، ويكون التفكيك بحثا عن الاختلاف بين الواقع والتمثيل ، بين الحقيقي والمتخيل ، بين الحضور والغياب."([8])

وبالعودة إلى محاولة (ديريدا) لتحديد التفكيك فإننا نتفاجأ أمام دهاء وحيلة هذا الرجل ، ففي الحقيقة هو لم يقدم لنا تعريفا أو تحديدا ، وإنما أراد أن يوهمنا بذلك فقط ، إن ما قدمه ليس سوى هروب وانفلات من قبضة النظام والقانون ؛ مادام التحديد والتعريف هو من صميم التفكير العقلي المنطقي ، وحتى لا يناقض جوهر فكرته التي أقام عليها استراتيجية قدّم لنا مسارات مفضية لما يعتبره مفهوما لـ (التفكيك)

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

أ- **المسار الأول:** المعنى التعددي ؛ (يسهم في تشكيل النص عدد من اللغات)

ب-**المسار الثاني** : المعنى الفوضوي ؛ إنّ لغة واحدة لا تكفي

ج- المسار الثالث : المعنى المجازي ؛ الاهتمام بالمسكوت عنه ؛ التفكيك هو أكثر من لغة Plus d une langue

2-الأصول الفلسفية للتفكيك:

أ- الثورة على الميتافزيقيا .

ب-الثورة على فلسفة الحضور ، فالوعي ليس في الحضور ، الوعي في الغياب .

فلسفة الحضور تفترض دائما وجود دلالات عليا ، هذه الدلالات العليا تستقطب العقول وتستقطب الأفهام والأذواق إلى نقطة ثابتة وبنسبة واحدة ، و(ديريدا) ضد فلسفة الحضور ، والبديل عنده تقرير فلسفة الغياب ، أو تقرير فلسفة الأخر المغاير ، أي هي حالة من النسبية أو نفي الحقائق ."([9])

ج- في ظل مناهج ما بعد البنيوية واستراتيجية التفكيك تحديدا نحن نتعامل مع واقع يحدث انفصالا بين الحقيقة والقيمة ويفرض على اللغة أن تحدث فجوة بين دوالها ومدلولاتها ، وهذا ناتج عن تدمير أو إلغاء المرجعية ، إن (حضارة المابعديات) على حد تعبير (عبد الوهاب المسيري) هي حضارة المتغيرات لا الثوابت ، حضارة تحاول إسقاط الإنسان من إنسانيته لتدرسه بمقولات غير إنسانية ، لذا فهي تدعو صراحة إلى نسف التاريخ وحتى حرق المكتبات ، وفي هذا الصدد يقول (ليتش) : " إنّ التاريخ يثقل خطانا إذ أن مفاهيمه وقوالبه ، حدوده ومناهجه تميت خصوبتنا ، إنّ إجابات القرون الماضية تتراكم داخل مكتباتنا وتبرز فيها ، والأسئلة الأولى التي كانت حيوية في يوم من الأيام ، نادرا ما تطاردنا اليوم نحن نجمع الحقائق اليوم من أرفف الموت ، إنّ التاريخ والتقاليد يحملان الموت ، من هنا فالتدمير ضرورة ، إن لون الأمل أسود ."([10])

إن حرق المكتبات ونسف التقاليد في نظر (مارتين هايدغر Martin Heidegge) و(ليتش) هي عودة إلى المنابع الأولى للغة باعتبارها الموقع الحقيقي الذي تكشف فيه الكينونة عن حضورها فالتقاليد المتراكمة المتجمدة حجبت عنا التسمية الأولى للأشياء ، وجعلت اللغة قاصرة ، لهذا فإن مهمّة الناقد التفكيكي في استخدامه لهذه اللغة القاصرة ، أن يفكّكها باستمرار ليفضحها ويكشف زيفها . فالتفكيكية كممارسة نقدية أدبية تفكّك النص لتكشف أن ما يبدو عملا متناسق وبلا متناقضات ، هو بناء من الاستراتيجيات والمناورات البلاغية ، إن فضح ذلك البناء ينسف الافتراض بوجود معنى متماسك ، معنى غير متناقض ، ومفهوم يمكن تفسيره بشكل واضح .

3-القيم المشتركة بين التفكيك وفلسفات الحداثة وما بعدها :

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

تشترك استراتيجية التفكيك مع فلسفات الحداثة وما بعدها في مجموعة من القيم من بينها :

أ- أنها ضد العقلانية و الحقيقة الموضوعية :

توصف اتجاهات ما بعد الحداثة ومن بينها- التفكيكية – "بأنّها نزعات معادية للعقل ، وهي قيمة تعود إلى (فرديرتش نيتشهFriedrich Nietzsche) ، والواقع أنّ الكثير من الطرق الرئيسية والفرعية لاتجاهات ما بعد الحداثة تعود إلى (نيتشه) ، ومعظم النقاد والدارسين يعتقدون بأنّ استراتيجية التفكيك هي مجرّد تغليف أنيق جذاب للفلسفة النيتشوية التي ترى بأنّ " صنم الفلاسفة الأكبر هو العقل ، لقد آمنوا بقدراته على اكتشاف الحقيقة والوجود وجعلوا منه حاكما مطلقا وجعلوا من قوانينه قوانين الوجود ، وراحوا يخلعون عنه صفة القداسة والسيادة وتحوّل من كونه أداة للحرية إلى أداة للقمع والقهر ، وقد نظر (نيتشة) إلى المنطق وقوانين الفكر على أنها مجرّد أوهام ضرورية للحياة ، وأدوات للتملك والسيطرة ، فهي ضرورية للعقل كي يقوم بالتفكير ، لكنه ما يلبث أن يفرضها على العالم والوجود ، ومن ثمّة يدعي أنّها مستمدّة منه ونابعة من داخله في حين أنها أوهام من خلق العقل ولا تمت للواقع بصلة ."([11]) أما على صعيد المعنى والأخلاق فيرى (نيتشه) أنه مادامت كل الأمور نسبية إذن فكل الأمور متساوية ، وإذا كانت كل الأمور متساوية ، إذن لا معنى ولا أخلاق ، وأي حديث عن المعنى والأخلاق هو أوهام الأخلاق أساطير ابتدعها بعض البشر بسبب فائدتها لكن لا يوجد داخلها أي حقيقة ، الحقيقة نفسها – باعتبار العالم متحرك- هي أسطورة ابتدعها الإنسان بسبب فائدتها . وبهذا تكون فلسفة (نتشه) أثبت إرادة القوة ، وهو ما يعبّر عنه قائلا : " أقوى وأسمى إرادة في الحياة لا تتمثل في الكفاح التافه من أجل الحياة وإنما في إرادة الحرب ، إرادة السيطرة."([12]) وهكذا أسهمت هذه الفلسفة في تنامي الفكر الامبريالي الغربي وتنامي الفلسفات المناهضة للعقل والحقيقة ، واستراتيجية التفكيك من بين هذه الفلسفات التي تمارس العنف على اللغة من خلال تدمير قوانينها المستندة في جوهرها على مبدأ التقسيمات الثنائية ، وفي هذا الصدد يرى (جيل دلوزGilles Deleuze) – وهو أحد فلاسفة ما بعد الحداثة – " أن إحدى مهام الفلسفة الآن هي الإعلاء من قيمة السلب في الفكر ، أو العشب ضد الأشجار ، التعددية ضد الشمولية قوة النسيان ضد الذاكرة ، الجغرافيا ضد التاريخ ، الخط ضد النقطة ، ويرى (دولوز) أنه لحلّ مشكلة الثنائية لا بد أن تحدث ثورة في مجال اللغة ، أن نناضل ضدها وأن نبتكر طرقا مختلفة للتعبير، فموطن الثنائيات هو اللغة ، "إن اللغة مؤسسة في عمقها على التقسيمات الثنائية : مذكر –مؤنث ، مفرد – جمع تركيب اسمي – تركيب فعلي ، وهكذا فنظرتنا للشيء ونقيضه تنطلق من داخل اللغة ، إذ ينبغي تحرير اللغة من منطق التعارضات الثنائية . يمكننا دائما إضافة ثالث إلى اثنين ، ورابع إلى ثلاثة ...إلخ وحتى في وجود حدين فقط فهنالك بين الحدين عناصر

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

لا يمكن ضمها إلى أي منهما (المذكر والمؤنث والمخنث) ، ينبغي في نظر (دولوز) إحلال حرف العطف (واو) محلّ العلاقة (أو)."([13])

ويعتقد أصحاب هذا الرأي بأن أشياء العالم الخارجي –بما في ذلك اللغة– لا تسير وفق قوانين محددة إنما هي في صيرورة دائمة وتدفق مستمر ، ومن المستحيل وجود قانون يحدّدها أو يستوعبها ، إنّما القوانين مجرّد أداة وحيلة اخترعها العقل فقط كي يقوم بعملية الإدراك ، وبهذا تكون فلسفة (نيتشه) قد مهدت الطريق أمام مقاربات واستراتيجيات ما بعد الحداثة لنقد الميتافيزيقا ونقد العقل ، وربما هذا ما جعلها ترتمي في أحضان الفن بوصفه الميدان البديل الذي تغيب عنه مفاهيم الحقيقة والعقل والضرورة لكونه منتجاً للزيف والوهم ، لهذا فحركة (ما بعد الحداثة) توصف على أنها حركة جمالية تعلي من شأن الجمالي بوصفه بديلا معاصرا للعقلانية ، ومن الجسد والرغبة بديلا للعقل والفكر ، ومن الصيرورة والاختلاف بديلا لقوانين الهوية والانسجام ، وقد استمر الخط النيتشوي في التضخم بعد الدعم الذي تلقاه من فلاسفة النظرية النقدية وفلسفة (هايدغر) ، ليصل إلى أقصى إمكاناته وقدراته الكامنة عند فلاسفة (ما بعد الحداثة) ، وهذا ما جعل (جاك ديريدا) – كما سنرى– يجعل من " تفكيك الأنساق الميتافيزقية التي شيّدها العقل المحض هدفا لمشروعه التفكيكي."([14])

ب–أنها فلسفة ضد السلطة :

لهذا أسقطت كل المقاربات الفلسفية التي تعلي من شأن الميتافيزيقا ، كما ثارت أيضا على الفلسفات التي تعلي من قيمة العقل البشري ، ورأت بأن هذا العقل لم يجلب للإنسانية سوى الدمار والخراب (الحربين العالمتين ، الحرب الباردة ...إلخ) ، إذن تعتبر استراتيجية التفكيك نفسها مقاربة جديدة تعطي تصورا مختلفا لعلاقة الإنسان بالكون ، لهذا فهي ترفض أن تكون امتدادا لمشاريع فلسفية سابقة ، خصوصا تلك المشاريع التي ترى بأنها لم تقدم شيئا للإنسان ، وإنما قامت باستعباده والحد من حريته ففلسفة العصور الوسطى قامت بسجن الإنسان داخل معتقدات غيبية بينما فلسفة عصر النهضة قيدت حريته من خلال صياغة قوانين منطقية بعيدة كل البعد عن جوهره ، لهذا فهي ترى نفسها بأنها نزعة تحررية بامتياز ولو أمعنا النظر في بعض تصوراتها التي صبغت النقد بما أن النص الأدبي هو الحقل المفضل لتجريب مثل هذه التصورات خصوصا وأنها ترى بأن "الفن هو الوحيد الذي ينفلت من سلطة العقلانية "([15]) لوجدنا آثار هذه التصورات واضحة ، إذ أنها ضد سلطة المؤلف التي قوضتها المناهج البنيوية ، والتي أثبتتها مقولة " (رولان بارت Roland Barthes) الشهيرة (موت المؤلف) ، غير أنها حينما أقرّت بإلغاء هذه السلطة لم

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

تمنحها للقارئ كما يتصور البعض ، وإنما أدخلت هذا الأخير في لعبة المداليل الهاربة والمراوغة دوما ، وبالتالي ليست هنالك أية سلطة على النص .

بعد هذا العرض المجمل لأهم القيم الأساسية المشتركة بين (التفكيك) وفلسفات (الحداثة وما بعد الحداثة) سنتعرض الآن بشيء من التفصيل لهذه الاستراتيجية في شقها المتعلق بفلسفة اللغة ، فيا ترى ما هو موقفها من الدرس اللساني الحديث القائم أساسا على منطقة اللغة ، أو جعل اللغة قابلة للإدراك من خلال قوانين العقل؟ وما هي البدائل التي تقدمها لتوصيف كيفية تعامل الناقد التفكيكي مع هذه اللغة؟

4-استراتيجية التفكيك والمنطق اللساني الحديث :

أ- تدمير العلامة اللغوية :

- **تعريف اللغة :** قال ابن جني (ت 392) في تعريف اللغة : " أما حدّها (فإنّها أصوات) يعبر بها كل قوم عن أغراضهم."([16]) يلتقي هذا التعريف ويتطابق مع الكثير من مقولات اللسانيات الحديثة .

للغة وظيفة تعبيرية ، وظيفة اجتماعية ، وظيفة إبلاغية (تواصلية) .

- **تعريف (فرديناند دي سوسير** Ferdinand de Saussure**) للغة** (1857-1913):

اللّغة في جوهرها نظام من الرموز الصوتية ، أو مجموعة من الصور اللفظية تُختزن في أذهان الجماعة اللغوية ، وتستعمل للتفاهم بين أفراد مجتمع معين.

بهذا تكون فكرة أنّ اللغة توقيف وإلهام فكرة ساذجة جدا في الدارس اللساني الحديث ، وذلك منذ أن " وجّه (دي سوسير) نقده لميتافيزيقا الحضور ، أو مركزية الكلمة ، وتبشيره بعلم العلامات وجعل العلاقة بين الدال والمدلول علاقة اعتباطية أو غير ضرورية ."([17]) ولكن كيف وصف (دوسوسير) العلامة اللغوية ؟ أو بعبارة أخرى كيف تصبح العلامة اللغوية حاملة للمفهومية ؟

لفهم هذه القضية يجب العودة إلى المراحل التي تشكل العلامة اللغوية كي تصبح هذه العلامة حاملة للمفهومية وهي ثلاثة مراحل : مرحلة المواضعة ، مرحلة الاستعمال والتداول ، مرحلة التجريد أو المجاز أو البلاغة .

في مرحلة المواضعة يوضع دال بايزاء مدلول ، لكن ما هي العلاقة بينهما ؟

يرى (دي سوسير) أنّ العلاقة بينهما في أوّل الوضع هي علاقة اعتباطية أو عشوائية أو جزافية وهذا ما ذهب إليه الكثير من اللسانيين ، بل يمكننا القول بأن هذا الفهم أصبح قارا في العقل اللساني الحديث."([18])

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

ولكن لا تصل العلاقة الدال و مدلول إلى درجة التلازم ، إلا إذا دخلنا في المرحلة الثانية وهي مرحلة الاستعمال والتداول ، فإذا انطلقت هذه العلامة من قانون المواضعة إلى الاستعمال والتداول حصل بالاستعمال والتداول حالة تلازم ، حالة التلازم بين الدال ومدلوله هي التي تضمن المفهومية يعني تضمن الدلالة ، فالدلالة = دال + مدلول + حالة تلازم

إنّ زحزحة المُشار عن المُشار إليه أو الدال عن المدلول ، أي جعله غير مرتبط بالتصور الموجود خارج اللغة (المدلول) هو كسر للعقد المتفق عليه بين الجماعة اللغوية الذين باستعمالهم أحدثوا التلازم بين الدوال ومدلولاتها ، يعني أحدثوا الدلالة .

إن الخروج عن هذا الاتفاق هو قضاء على الظاهرة اللغوية التي من أهم أركانها الدوام المؤدي إلى صحة النموذج التواصلي في اللغة .

ب–النموذج التواصلي :

ما هو النموذج التوصلي ؟

النموذج التواصلي في اللغة هو أنني استطيع أن أتواصل معك بأن أحدث دلالة التطابق فيها بين المُشار والمشار إليه عندي يماثل التطابق بين المُشار والمشار إليه عندك ... إذا لم يحدث ذلك فنحن لسنا أمام ظاهرة لغوية ، بمعنى أننا نزعنا عنها قابلية أن تكون مفهومة .

ما فعله التفكيكيون وعلى رأسهم (جاك ديريدا) هو تدمير العلامة اللغوية كما قررها الدرس اللساني الحديث ، واعتبروا حالة التلازم بين الدال ومدلوله هي حالة كبت اللغة ، وعليه فهي لا تعدو أن تكون حالة من القضاء على الإبداع ، والإبداع عندهم يستلزم القضاء على(اللاغوس منطقية اللغة)" ([19])

ج– ثنائية الكلام / الكتابة :

يرفض التفكيكيون أيضا أسبقية الكلام (parole)على الكتابة (écriture) فـ(ديريدا) يكشف من خلال كتابه (في علم الكتابة de la grammatologie) عن نفور الفكر الغربي واستيائه من المكتوب ، وهذا النفور رغبة راسخة عند مفكرين من أمثال:(رسو ، وسوسير ، وليفي شتراوس) في حصر الكتابة في وظيفة ثانوية وأداتية ، فالكتابة لديهم أداة لنقل المعنى ، وهو نوع من التقييد ومن هنا تأتي اشارات (ديريدا) المتكررة إلى مشروعه بوصفه مشروعا تحرريا."([20]) ولكي يدلل على صحة رأيه في أن الكلام فرع والكتابة أصل يختار من اللغة الفرنسية لفظة différence avec e والتي تعني الاختلاف والإرجاء وابتكر كلمة أخرى في اللغة الفرنسية لم سيتقيها لا من المعاجم ولا من القواميس وهي كلمة différance avec a ، وقد ابتكر هذه اللفظة الجديدة للتلاعب بثائية الصوت والكتابة بحيث تنطق كلمة différence avec e بالطريقة الفونتيكية

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

نفسها التي تلفظ بها لفظة différance avec a وهذا التلاعب جعله يثبت بأن اللغة المنطوقة لوحدها تبقى عاجزة عن إعطاء دلالة للفظة ، وأن دلالة اللفظة لا تتحدد إلا من خلال الكتابة وبهذا فإن الكلمات حسب رأي (ديريدا) غير محددة بمعاني وأن أقصى ما نستطيع إدراكه هو الاختلاف بينها وإرجاء المعنى إلى أجل غير مسمى."([21])

إن معرفة الدال عند (ديريدا) تتحدد من خلال اختلافه عن الدوال الأخرى ، أما المدلول فهو معلق يتم التعرف عليه من خلال عملية الاختلاف والإرجاء ، فالاختلاف يعطي شرعية للكتابة التي تقوم بإثبات الدلالة ، بينما الإرجاء هو عنصر تفكيك هذه الدلالة ، أو هو بحث عن مدلول هارب على الدوام."([22])

د- التقسيم الثنائي للغة :

يرفض التفكيكيون أيضا قانون التقسيمات الثنائية للغة ، والذي أقرته المناهج البنيوية ، وذلك بسبب أن هذا القانون يعمل على (عقلنة اللغة) ؛ أي جعلها قابلة للفهم الناتج عن أحادية المعنى .

باختصار فإن التفكيكية ضد الحقيقة ، ضد الثبات ، ضد التلازم ، ضد وحدة الفهم ، ضد القوانين والصيغ المنتجة لدلالة واحدة .

هـ- تقويض مبدأ الإحالة التقليدي :

عرفنا بأن التفكيك ثورة على وحدة المعاني ، لذا ثار على كل المناهج والمذاهب والتيارات التي تعترف أو تتبنى مبدأ الإحالة المرجعية ، سواء أكان هذا المرجع (الله) أم (الإنسان اللاغوس) فلسفة التفكيك ترفض المركز الذي نشأت في ظله الفلسفات القديمة (الميتافيزيقا) ، ترفض كذلك بعض الفلسفات الحديثة التي ظهرت في ظل الثورة الصناعية كالماركسية مثلا ، لتقرر أخيرا أن المركز موجود وغير موجود في الوقت ذاته .

التفكيكية تعتقد بأنّ ارتباط الدال بالمدلول كان نتيجة وجود مرجع (إحالي تقليدي) ؛ أي نتيجة وجود تلازمية بين الدال والمدلول ، هذه التلازمية نشأت عن طريق التكرار والاستعمال .

وبما أن التفكيكية ترفض مبدأ الإحالة ، فهي تعمل على تقويضها ، وذلك بالقضاء على العلاقة الحاصلة بين الدال والمدلول ، لأنها تعتبر أن العلامة اللغوية التي قررها (دوسوسير) هي علامة مغلقة ، وبالتالي فهي تعمل على جعل هذه العلامة مفتوحة ، وذلك من خلال اعتبار الدوال ثابتة ، بينما المدلولات معلّقة ، وباختصار هي تدعو لوجود (اللامعني) ، مادام كل مدلول للنص الأدبي يعتبر مدلولا سيئا يجب تقويضه وتدميره ، وبهذا تدخل القارئ في متاهة البحث عن المدلولات المراوغة والهاربة دوما ، وهذا ما ألهم (ديريدا) إلى إطلاق مقولته المشهورة التي تعتبر عصب التفكيك :"**كل قراءة هي إساءة قراءة.**"([23]) وهذا لا يعني أبدا بأن القراءة السيئة ليست

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

صحيحة بل بالعكس تماما ، فالقراءة السيئة هي الصحيحة غير أن هذه القراءة تخضع لمبدأ التفكيك لتنشأ قراءة صحيحة سيئة يتم تفكيها هي الأخرى وهكذا دواليك .

و- من المعنى إلى الشبحية :

يعتقد التفكيكيون " بأن النص يضم طبقات هيروغليفية ، ومداخل مجازية ، وشبكات دلالية مشتتة ، لذا فهم يسعون إلى قراءة تلك الرموز والنفوذ إلى تلك المداخل ، أو فتح الأبواب ، فيصبح التفكيك اقتفاء حثيثا لأشياء النص وأشلاء الكتابة ، وأصداء الآثار والبصمات .

إن الكتابة في عرفهم جسد مدسوس بالمكبوتات ، ومطاردة للأشباح التي تسكن هذا الجسد (الكتابة) ومحاولة اصطيادها بعد أن تَلْفُظَ الألفاظ أنفاسها ، واقتفاء أثرها بعد تشظي معانيها وذلك هو المستحيل دَرْكُهُ ، وإن كان من الممكن معرفته ، إنه أشارة بدون عبارة ، أو كائن لطيف دون جسد كثيف . رمزية المعنى تدل على أن اللغة لا يمكنها استنفاذ ما تريد (أو ما أرادت) قوله ، لأنّ هنالك إرادة في التعبير تتجاوز ما ينسقه الخطاب وما ترتبه اللغة ." ([24])

وبهذا تصبح الكتابة ذات بنية طيفية أو هيئة شبحية ، تكون فيها الدوال مرجأة والمدلولات مؤقتة هذا الإرجاء أو التأجيل يفتح شرخا لا محدودا بين الدال ومدلوله ، وهذا الشرخ أو المسافة تتخذ شكل حركة إجرائية مولدة للدلالة في بعدها اللامتناهي أو اللايقيني (Aporétique) أو الشبحي عكس التصورات البنيوية والنتيجة المنطقية لذلك ليس هنالك حقيقة بالمفرد ، بل هنالك حقائق ممكنة ولا متناهية ، والسبح من هذا المقتضى لا يمكن بلوغه أبدا."([25])

ز- علاقة التفكيك بالواقع :

غير أن السؤال الذي يفرض نفسه علينا بإلحاح هو : من ينتج من ؟ هل الواقع هو الذي ينتج اللغة ، أم أن اللغة هي التي تنتج الواقع ؟ وبعبارة أخرى هل استراتيجية التفكيك بما أنها نظرية في فلسفة اللغة هي نتاج واقع ؟

في الحقيقة لقد استفادت هذه الاستراتيجية من حالة التشكيك السائدة في المجتمع الغربي بشكل عام والمجتمع الأمريكي بشكل خاص ، خصوصا وأن عمليات التفكيك بدأت من داخل هذه المجتمعات ذاته: تفكيك الأسرة ، نسف التاريخ والمعتقدات ، القضاء على الإثنيات والأقليات تفكيك الدين وإخراجه من الحياة العامة...

ولو أمعنا النظر في المجتمع الغربي لوجدنا أن ظاهرة ،انفصال الدال عن المدلول موجودة ضمن نسيجه وهو ما أدى إلى ظهور الكثير من المصطلحات مثل: " مصطلح (أسرة ما بعد الحداثة) الذي يشير إلى حصول تغير في منظومة هذه الكلمة ، فأصبحت تشير إلى العديد من

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

المفاهيم أو المداليل: كلمة (أسرة) ، منذ عهد قريب ، وبالتحديد في أربعينيات القرن المنصرم كانت (الأسرة) تعني : رجل وامرأة متزوجان ولديهم أطفال . ثم حدث تغيير جذري في مدلول الكلمة حيث أصبحت تعني :

رجل وامرأة قد يكونان متزوجان أو غير متزوجان ، قد يكون هنالك أطفال أو لا يكون ، قد يكون هنالك أطفال بالتبني .

ممكن مدلول كلمة (أسرة) يشير إلى امرأة وامرأة تعيشان سوية بأطفال أو بدون أطفال . رجل ورجل ويتبنيان أطفال .

رجل وامرأة يعيشان مع أطفال ويقرر الرجل أن يتزوج برجل آخر ويأتي ويعيش معهم ."([26])

حتى مفهوم الإنجاب يتعرض لمتغيرات عديدة ، فهنالك أسر أصبحت بدل الإنجاب تتبنى حيوانا منزليا أليفا كلب ، قط ، عصفور ، أو حتى دمية .

أيضا بالنسبة لكلمة (إنسان) ، هذه الكلمة لها العديد من المداليل في الحضارة الغربية :

- **المدلول الأول :**

"الإنسان الخارق (السوبرمان) : وهو من نتاج الفكر الامبريالي فهو إنسان يجسد المادة ، ويُولِد معياريته من ذاته ، ولا يؤمن بأي قيم خارجة عنها ، ولا يؤمن إلا بمبدأ إرادة القوة بوصفها قيمة وحيدة مطلقة وهو إنسان يرى بأنّ من حقه أن يوظّف الآخرين لحسابه ولتحقيق مصالحه بوصفه الأقوى والأكثر نفوذا."([27])

- **المدلول الثاني :**

في مقابل هذا الإنسان الخارق هنالك إنسان دونه مرتبة ، وهو الذي يستجيب ويذعن للطبيعة (المادة) ويتكيف مع المعيارية التي تُولَد من داخل الطبيعة ، وقد تولد عن هذا النوع العديد من الأشكال : الإنسان البرجماتي ، الإنسان المهجن ، الإنسان المدجن ، الإنسان المتشيء ، وسمة هذا النوع الأساسية أنه إنسان وظيفي يعرّف في ضوء وظائفه الاقتصادية والبيولوجية ، فهو إما إنسان اقتصادي ، أو إنسان جسماني أو جنسي أو خليط منهما .

إذن نحن هنا نتعامل مع واقع يفرض على اللغة أن تحدث انفصالا بين دوالها ومدلولاتها ، وذلك نتيجة تدمير أو تغييب المرجعية . إن حضارة المابعديات حضارة المتغيرات لا الثوابت ، حضارة تسقط الإنسان من إنسانيته وتقوم بدراسته بمقولات غير إنسانية . "([28])

5-مميزات الممارسة التفكيكية :

إن الممارسة التفكيكية لا تفكّك النص وتعيد تركيبه لتبيّن المعنى الكامن فيه (كما هو الحال مع النقد السياقي والنسقي) وإنما تحاول أن تكشف التوترات والتناقضات داخل النص ، وتعددية المعنى

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

والانفتاح الكامل بحيث يفقد النص حدوده الثابتة ، ويصبح جزءاً من الصيرورة ولعب الدوال، ومن ثم تختفي الثنائيات والأصول الثابتة كالحقيقة والميتافيزيقا.

وقد أشار كثير من الدارسين إلى أن الممارسة التفكيكية تتسم بما يلي:

1. ممارسة مملّة ؛ لأنها تقول الشيء نفسه عن النصوص كافة ، كما أنّ نتيجتها معروفة مسبقاً.
2. لا يمكن اعتبار التفكيك ممارسة جديدة ؛ لأنها مجرّد انتقاء لما هو متداول في الفكر .
3. قامت الممارسة التفكيكية على مبدأ إلغاء سلطة الكاتب غير أنها حين ألغت هذه السلطة لم تمنحها إلى القارئ ، وإنّما أدخلت هذا الأخير في لعبة المدلولات المراوغة والهاربة دوما.

خاتمة :

حقا إنّ التفكيك أرض بلا حدود وعالم بلا سقف ، ومثل هذا الخطاب الواصف ليس سوى محاولة لتوصيف هذا الفكر (المابعد حداثي) الذي يرغمنا على إعادة طرح العديد من التساؤلات لعلّ أبرزها تلك التساؤلات المتعلقة بالتاريخ ، الوجود ، اللغة ، الإبداع ، الحرية ...إلخ

الهوامش :

[1] –Nouby Mouhamed Hassan : Architactural space from Modernism To Deconstruction :A critical Overvirw , Jurnal of Engineering sciences ,Assiut University Vol.35 No.3,May 2007,pp839.

[2]– جان غردان:المنعرج الهرمينوطيقي للفينومينولوجيا ،تر: عمر مهيبل ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط1 2007،ص171.

[3]– المرجع نفسه،ص165.

[4]– أيان ألموند:التصوف والتفكيك ، تر: حسام نايل ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، عدد1740،ط1، 2011 ص35.

[5]– المرجع نفسه ، ص169.

[6]– كيحل مصطفى : الألسنية والتأويل في فكر محمد أركون ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،ط1، 2011، ص 118 وما بعدها.

[7]– محمد بكاي : مقولة الشبحية عند جاك ديريدا ، إشراف محمد شوقي الزين ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ط1 2011،ص145.

[8]– – المرجع نفسه ،ص145.

[9]– عماد الزين:نقد الأسس الفلسفية للتفكيكية (تاريخية النص) – نادي حوار– www.youtube.com/watch?v=zL1pEpy8V84 (يوم 2016/02/20)

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

[10]– عبد العزيز حمود : من البنيوية إلى التفكيك ، سلسلة عالم المعرفة :232، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت ، أبريل /نيسان 1998 ص169.

[11]– بدر الدين مصطفى : حالة ما بعد الحداثة في الفلسفة والفن ، سلسلة الفلسفة ، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة ط1، 2013،ص72.

– ينظر أيضا : عبد العزيز حمودة : المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ،ص 371.

[12]– ينظر : محمد سالم سعد الله : ما وراء النص ، عالم الكتب الحديث ، الموصل ، ط1، 2008،ص14.

[13]– بدر الدين مصطفى : حالة ما بعد الحداثة في الفلسفة والفن،ص98.

[14]– المرجع نفسه ،ص76.

[15]– المرجع نفسه ،ص77.

[16]– ابن جني : الخصائص ، تح : محمد علي النجار ، ج1، الكتب العلمية ، بيروت ، دط،دت،ص33.

[17]– محمد سالم سعد الله : ما وراء النص ،ص59.

[18]–كلاوس هيشن : القضايا الأساسية في علم اللغة ،تر: سعيد حسن بحيري ، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة ، ط2، 2010،ص58.

[19]_عماد الزبن: نقد الأسس الفلسفية للتفكيكية (تاريخية النص) نادي حوار– www.youtube.com/watch?v=zL1pEpy8V84 **(يوم 2016/02/20)**

[20]– محمد شوقي الزين : جاك ديريدا ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ،ط1، 2011، ص 20

[21]– عبد العزيز حمودة : من البنيوية إلى التفكيك ، ص 374–375.

– ينظر أيضا : محمد شوقي الزين : جاك ديريدا ،ص47،48.

[22]– ينظر : عبد العزيز حمودة : المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك،ص 378.

[23]– المرجع نفسه،ص 381.

[24]– محمد بكاي : مقولة الشبحية عند جاك ديريدا ، ص143.

[25]– المرجع نفسه ،ص144.

[26]– https://ar.wikipedia.org/wiki/أسرة_نواة

[27]– محمد سالم سعد الله : ما وراء النص ،ص14.

[28]– المرجع نفسه ،ص15.